أسمرا والخرطوم: وعي الفريسة وتاريخ الصيادين في مرحلة تقرير المصير الثانية

محمد مسوكر*

■ في جلسة قصد لها أن تكون، وبحضور عدد مقدر من أبناء قبائل البيجا وان جاءت الأكثرية من القبائل التي لم ولن تمل من الترحال بين مركزيها كرن في وسط اريتريا والقضارف التي يدبر لها أن لا تكون بيجاوية وتسقطها ريح الشمال السوداني في الاقليم الأوسط، تلك الجلسة كانت مسرحا للسخرية من الذي يجري الآن في الفضاء السياسي لأسمرا والخرطوم تحت لافتة مفاوضات السلام بين الخرطوم ومتمردي الشرق في العاصمة الاريترية أسمرا. ولقد بدا واضحا أنهم يقرأون العنوان الحقيقي لتلك اللحظة المصيرية وتتراقص أمام أعينهم مآلاتها وهى بعدها لم تتجاوز طور اعلان المبادئ.

فمن العناوين التي وردت في الجلسة (البيجا يتوسطون بين أسمرا والخرطوم) أو (المسألة الشرقية) بل ان أحدهم عندما علم من أحد المتابعين بأن أبناء دارفور حذروا الخرطوم من تجاهلهم في ملف الشرق قال (ما بالهم يرونها كتركة الرجل المريض).

تلك التعليقات وأكثر منها تأتي من قبائل تنطبق عليها الحكمة الصينية التي تقول ان تاريخ الصيد دوما يمجد دور الصيادين ، لأن قرون عمرها المديد بين فكي أكسوم التاريخية والسودان جعلاها الفريسة التي وجودها يولد أبطال السودان وأفذاذ أكسوم على الأقل في خيال شعوبهم.

لذلك تندرهم يقف على عمق تاريخي غائر في نفوسهم ووصفهم لتلك المرحلة بالمصيرية يحتوي على الكثير من الدقة ونستطيع أن نتثبت من ذلك باستحضار فترة تقرير المصير في الأربعينيات دون أن نتوغل كثيرا في أحراش الماضي على الرغم من أهمية ذلك للقارئ العربي والسوداني على السواء خصوصا أن الأخير لقد اكتسب وعيه التاريخي من جعبة الصياد.

قد ورد في متن التاريخ المكتوب عن السودان الحديث أنه في حقبة تقرير مصيره من قبضة الانكليز كان ضحية لنزاعات بين أطراف وعيها عن السودان وأهله لا يتجاوز حدود مدينة أم درمان احدى مدن العاصمة السودانية وان فعل وتجاوز فكل أهل السودان اما جهادية (بقايا الرق في السودان) واما دراويش في حضرة آل الميرغني والمهدي.

أحداث تلك الحقبة وما شابها من قصور في التعبير عن السودان وأهله انعكس على أداء القوى السياسية السودانية في المنطقة بل بالامكان القول ان المصير كان مصير السلطة كيف تكون. فالامام عبدالرحمن المهدي أرادها ملكية الأمر الذي جعله يحرك أوراقه السياسية لخطب ود الانكليز وحليفهم الامبراطور الاثيوبي هيلي سلاسي ولقد وجد أن حجر البيجا بمقدوره أن يسقط على الاقل طائرين معا:

أولا: ارضاء الامبراطور.

ثانيا: التضييق على خصومه التقليديين آل الميرغني باعتبار أن مناطق البيجا في كل من السودان واريتريا دوائر نفوذهم.

من هنا جاء موقفه داعما لضم اريتريا مع اثيوبيا. وهذا الموقف جاء منسجما مع رغبة الأحباش في اريتريا وضد القوى الاجتماعية الأخرى وأي قارئ للتاريخ يتساءل لماذا لم يكن للسودان رأي في اريتريا مثلما كان لاثيوبيا؟

كانت النتيجة أن تلك القوى الاجتماعية شرعت في المقاومة التي قادت الى اندلاع الثورة الاريترية، التي حصدت البسطاء وربما يجوز القول لو أن السيد المهدي أصاب هدفه لقلنا انه دفع ثمنا وقبض عينا ولكن من الواضح أنه دفع ولم يجد ما تمنى.

وأى متتبع للشأن السوداني منذ الأزل والى الابد سواء في عهود الديمقراطية أو الأنظمة العسكرية سيجد أن القيادات تختلف في أشياء كثيرة الا أنها تتفق في عدم فهمها للسودان وبالطبع كذلك فهمها للدور الذى يمكن أن يلعبه في محيطه الاقليمي.

أما عن أسمرا فصورتها الحالية هي امتداد لخيار الضم الى اثيوبيا القديم الذي طالبت به القوى الحبشية في اريتريا فبعد أن عجزت عن تحقيقه نتيجة لقيام الثورة الاريترية واوضاع اثيوبية داخلية أخرى وعجز سوداني عن فهم الاقليم استطاعت القوى الحبشية ان تسحب بساط الثورة من تحت اقدام الجميع وتجلس على كرسي السلطة، ويجدر القول هنا ان الثورة الاريترية لم تعن في تاريخ الخرطوم السياسي أكثر من عصا غليظة تلوح بها في وجه اثيوبيا اذا ما ضاقت ذرعا من دعمهم للحركات المسلحة في جنوب السودان.

فالبيجا والقبائل التي تقاسمهم السكنى بين فكي اسمرا والخرطوم لم ينعموا بحق تقرير المصير في الأربعينيات وزهقت نضالاتهم في اطار الثورة الاريترية وبنيت الدولة الاريترية دون أنساقهم الاجتماعية والثقافية فكيف يا ترى نقرأ ما يحدث الان في الفضاء السياسي لاريتريا والسودان؟

الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا لم يكن لها أن تنجح في مسيرتها لولا ادراكها بان الشعب الاريترى لا يقف على رصيد وطني مشترك وأن تعدده الديني والعرقي والقومي قد لا يشجع على العمل لخلق مشترك صلد معه تكون الثورة في مأمن من التناحر.

وهذا الوعي استلهمته من توجهها القومي كونها كما ذكرت امتدادا لخيار الضم مع اثيوبيا. وأظن هنا أكثر ما يعنينا أن نفهم بايجاز أن الدولة الاريترية علاوة على كونها تقف على أرجل قومية (نسبة الى القومية الحبشية) فهي تعتبر النهضة البيجاوية سواء كانت في السودان أو اريتريا خصما من رصيدها القومي وتباعا قد يؤثر في مستقبلها.

ولقد عبرت عن ذلك في الكثير من المحطات التاريخية ويكفي القول هنا كيف أنها لم يرق لها بال أثناء الثورة الاريترية حتى أجلت جبهة التحرير الاريترية من الساحة بحسبان ان قيام الدولة الاريترية من لدن الاخيرة يخلق حالة تسيد لا ترضاها.

أما في فترة الدولة فلقد استكملت مشوارها بضرب كافة القبائل المشتركة بينها وبين السودان وذلك بتعطيل أسباب بقائها ومنعها من ممارسة خيارها الثقافي اللغة العربية ليقينها بأنه سيقصم ظهرها الثقافي.

أما لماذا انها استضافت مؤتمر البيجا المعارض للخرطوم؟ فمن المعلوم أن العلاقة بين الانقاذ في السودان والشعبية في اريتريا على الرغم من أنها سبقت وصول الاثنين الى السلطة الا انها في عهد السلطة وقفت على مصادفة تاريخية مزعجة للسيد أفورقي. وهي أن فوضى الديمقراطية في السودان التي سبقت الانقاذ لو استمرت قليلا حتى يتمكن أفورقي من السيطرة على أوضاعه وكذلك ابن ثقافته ملس زيناوي على أوضاعه في أديس أبابا لسارت الامور بتكاليف أقل. ولكن يأتي الاستقلال في اريتريا وفي السودان دولة دينية فهذا ما لا يطاق لدى أسمرا. من هنا لقد نهجت أسمرا وبالتحديد في سنوات عمرها الاولى سياسة صدامية مع أكثر من طرف وفي الحالة السودانية كعادة التاريخ استقطبت كافة أقطاب المعارضة السودانية وحققت عبرهم هدفين:

الاول ازعاج الخرطوم.

الثاني حجب المعارضة الاريترية وتجفيف منابعها في المنطقة العربية بواسطة علاقات النخبة السودانية مع الفعاليات العربية والمفيد الذى يجب أن نعلمه في هذا السياق ان المعارضة الاريترية قبل الحرب الاخيرة بين اثيوبيا واريتريا كانت بنسبة عالية تتكون من أبناء القبائل المشتركة بين السودان واريتريا.

وفي حالة البيجا احتفظت الحكومة الاريترية بحقها في تعريف البيجا وليس كل بيجاوي لديها هو كذلك. مساومة بأنها تمنح أراضيها لمن تنطبق عليه المواصفات البيجاوية التي تعتقدها.

لذلك جاءت المصلحة المشتركة بين الطرفين أي أسمرا والخرطوم في تحويل الامر من مطالب بيجاوية الى ما يعرف الان بقضية شرق السودان مما يتيح لقبائل أخرى من خارج النسيج البيجاوي أن تشارك في عملية التفاوض وربما مناداة أبناء دارفور بان لا يتم اقصاؤهم من تركة البيجا لعلمهم بقضية تقاسم البيجا بين أسمرا والخرطوم.

هذا الفهم يدفعنا للقول بانه ليس من المرجو من المونديال المقام في أسمرا أن تحل قضايا البيجا التاريخية بل كل سيوظفها حسب أوضاعه الداخلية فاريتريا تختزن مظالم تنوء بحملها الجبال وربما يكون صحيحا أن المعارضة الاريترية ليس بمقدورها الان أن ترفع عن كاهل المجتمع ما وقع من مظالم ولكن هذا لا يمنع بأن الطبيعة قد تتدخل وعندها ستشهد المنطقة صومالا آخر وان حدث ذلك في وجود اقليم بيجاوي متعاف في شرق السودان قد تظهر الحقائق ساطعة وربما نشهد ميلاد دولة بيجاوية تغطي شريط البحر الاحمر. اذن خلق شرق سوداني مهجن هو الافضل. أما الخرطوم فدوما تتحقق فيها مقولة أحد الراحلين من قيادات الثورة الاريترية بأن قصر النظر في السياسة السودانية يرهق القرن الافريقي باسره فالخرطوم الان جل همها أن تسكت الجار الاريتري حتى لو جاء ذلك على حساب البيجا حالها في ذلك كحالة السيد عبد الرحمن المهدي الذي لم يحقق ملكية لنفسه وأعطى الامبراطور هيلى سلاسي ما يريد.

هذا الغليان الذي يغطي سماء الخرطوم وأسمرا بلا شك يضع الدولتين أمام المجهول وربما ينال البيجا بعض المواقع هنا وهناك ولكن لو كانت الابل تورد هكذا لما ضلت قافلتا استقلالهم الطريق بعد أكثر من خمسين عاما من خروج المستعمر الغربي.

* كاتب من القرن الأفريقي

تجنبا لانهيار النظام السياسي الفلسطيني:
مطلوب حكومة طوارئ ائتلافية عاجلة

ابراهيم ابراش*

■ هل بعد ما جرى ويجري في قطاع غزة من عدوان إسرائيلي يدمر كل شيء ويستهدف الجميع مجال للاستمرار بالمكابرة عند النخبة السياسية، نخبة الحكومة ونخبة المعارضة، بزعم كل منها انه على صواب وبرنامجه هو البرنامج الجدير بالبقاء؟ هل استوعبت النخبة الدرس من العدوان الجاري على الفلسطينيين وهو درس مفاده بان إسرائيل لا تعترف بفلسطينيين دعاة سلام وفلسطينيين دعاة حرب فالجميع بالنسبة لها أعداء؟ ولا تعترف بأية مرجعية لا مرجعية صناديق الانتخابات ولا مرجعية الشرعية الدولية؟ هل استوعبت النخبة بأنه لا يستطيع طرف فلسطيني لوحده مواجهة العدوان الإسرائيلي لا على طاولة المفاوضات ولا في ساحات الوغى ؟ هل استوعبت النخبة السياسية أن الحرب مع إسرائيل ليست انفعالات وعواطف ولا شعارات ومناشدات ولا عمليات جهادية ارتجالية لهذا الفصيل أو ذاك بل هي مواجهة إستراتيجية تحتاج إلى العقول والمفكرين الاستراتيجيين الذين يذهبون إلى لب المشكل ويتعالون حتى على الانفعالات والعواطف الشعبية ويتعاملون مع الواقع بوضوح وصراحة ودون مكابرات؟ نأمل أن لا تضاف الخسائر البشرية والمادية الأخيرة الناتجة عن العدوان على قطاع غزة إلى خسائرنا السابقة وتعود حليمة لعادتها القديمة بالحديث عن العدوان والإرهابي الصهيوني وعن التقصير العربي والدولي وحديث كل حزب عن بطولاته وقائمة شهدائه ومعتقليه الخ، دون وقفة محاسبة ومراجعة للذات.

إسرائيل لن تعود لاحتلال قطاع غزة لأن خروجها كان ضمن خطة إستراتيجية وهي خطة الانسحاب أحادي الجانب بدأت في غزة وستتواصل في الضفة والخطة بشقيها هي من بنات أفكار رئيس وزراء إسرائيل الحالي اولمرت، وإسرائيل تتمسك بخطتها، ولكنها ستعزز من سيطرتها على القطاع بعد تدمير بنيته التحتية وستستمر في حصر المواجهة في وحول قطاع غزة لتتفرغ للسيطرة على ما تبقى من الضفة وقد تسيطر على بعض المناطق الحدودية لإعاقة إطلاق الصواريخ الفلسطينية. المشكلة لا تكمن فقط في العدوان الإسرائيلي المستمر بل في كيفية التعامل مع هذا العدوان بطريقة عقلانية وضمن رؤية وطنية شمولية ملزمة للجميع؟.

فقد خرجت إسرائيل نسبيا من قطاع غزة قبل أشهر واليوم تعود مجددا، ولكن ألم يمارس البعض فينا من أمور أعطت الذريعة لإسرائيل لتعود لغزة بدلا من نقل المعركة للضفة؟ ولنأخذ العملية الأخيرة في كرم سالم قرب رفح، فقد جرت هذه العملية وإسرائيل تحشد جيوشها لضرب القطاع كرد على إطلاق الصواريخ الفلسطينية، وجرت هذه العملية داخل أراضي 48 في نفس اليوم الذي كان منتظرا فيه التوقيع على وثيقة الأسرى لتصبح وثيقة وفاق وطني تشكل مرجعية للجميع وتنص الوثيقة فيما تنص عليه على قصر عمليات المقاومة داخل الأراضي المحتلة عام 1967، وجرت هذه العملية ومؤشرات تدل على تنفيذها بأوامر من خارج وهو خارج ليس متحمسا للوثيقة ولا للوفاق الوطني الداخلي ... ألم يكن من المناسب إلغاء هذه العملية أو تأجيلها إلى حين؟ ألم تظهر هذه العملية بالرغم من أنها ناجحة عسكريا، وكأن وثيقة الوفاق الوطني لن تكون ذات قيمة ما دامت بعض الأطراف يمكنها إفشال الوثيقة وكل الجهد الوطني الذي بُذل للتوصل لها بعملية عسكرية واحدة؟.

ومن جهة أخرى هل كان من الضروري أن تتبنى حركة حماس العملية وتدافع عن خطف الجندي الصهيوني والحركة تقود الحكومة ووزراؤها يجوبون الوطن تحت سمع وبصر العدو المتربص؟ وهل نستغرب بعد ذلك أن يقوم جنود جيش الاحتلال باعتقال وزراء ونواب من حركة حماس وهم يمرون تحت ناظرهم عبر الحواجز والجنود يدركون بان هؤلاء النواب والوزراء هم من نفس الجماعة التي تختطف زميلهم؟. وإذا كانت عملية خطف جنود ومبادلتهم بأسرى قد نجحت في جنوب لبنان، فهل هذا يعني بأنها ستنجح في فلسطين حيث يحدث تداخل وتعايش بالإكراه بين الفلسطينيين والإسرائيليين سواء في الضفة المحتلة أو في أراضي 1948؟ وألم يفشل كل المحاولات الفلسطينية السابقة في هذا المجال؟.

أكثر من سؤال يفرض نفسه وإن كان البعض يرى أنه ليس الوقت المناسب لطرح تساؤلات حول عملية فدائية في الوقت الذي يتواصل فيه العدوان على القطاع والضفة وحيث لم تستثن آلة الحرب الصهيونية حتى الأطفال والنساء، إلا أننا نرى ضرورة طرح هذه الأسئلة حتى نعقلن أية ممارسة نضالية قادمة وحتى نستفيد من أخطائنا وتجاربنا.

وحيث جرى ما جرى والعدوان مستمر وحال قطاع غزة بعد العدوان سيكون أسوأ من حاله قبل العدوان، والاحتلال متواصل في الضفة الفلسطينية والحصار المالي متواصل مع تعثر كل مسار تفاوضي، وأخيرا اعتقال عشرات الوزراء والنواب، فما العمل؟.

ليس مقبولا بأي شكل من الإشكال إحداث فراغ سياسي ومؤسساتي حكومي وليس مقبولا تجاوز حقيقة وجود حكومة منتخبة ومجلس تشريعي منتخب، كما أن إرجاع الأمور لأصلها أي منظمة التحرير الفلسطينية قبل أن يتم التفاهم على إعادة بناء المنظمة، سيواجه معارضة من حركة حماس وسيبدو الأمر بأنه تجاوز لوثيقة الوفاق الوطني إن لم يدرج في سياق نظرية المؤامرة. الحل إذن هو مباشرة تنفيذ وثيقة الوفاق الوطني والبداية بتشكيل حكومة طوارئ ائتلافية، حكومة طوارئ لأن الوضع يتطلب ذلك فمؤسسات السلطة والحكومة والبنية التحتية وكل شيء ينهار ولا شيء يبرر حكومة الطوارئ أكثر من هذه الأمور؟ وان تكون ائتلافية لأن هذا منصوص عليه في الوثيقة التي تم الاتفاق عليها وحيث أن العدوان استهدف كل الشعب بكل فصائله فالرد يجب أن يكون ردا جماعيا. وهذه الحكومة لن تكون تجاوزا للانتخابات ولا تجاوزا للمجلس التشريعي ولن تنقص من حضور حركة حماس وشرعيتها حتى وإن أسندت رئاسة حكومة الطوارئ والتي مدتها شهر للرئيس أبو مازن.

* استاذ بجامعة الأزهر في غزة

قوة الانسان الذي فينا

زهير اندراوس*

■ أولا: لا يوجد أدنى شك بأن عملية كرم أبو سالم، تشكل منعطفا كبيرا في الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، فأسر الجندي، أربك الحكومة والرأي العام، لأنه لا مقارنة بين القوة العسكرية الاسرائيلية الجبارة التي ركعت أمامها جميع الجيوش العربية وبين أسلحة فصائل المقاومة البدائية.

ثانياً: بعد وقوع الحادث اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرارا مفاده أنها لا تفاوض من أسمتهم بالارهابيين، على الرغم من علمها بأن تبادل الأسرى من العسكريين هو أمر تقره القوانين والمعاهدات الدولية، وعندما يعرض الفلسطينيون اطلاق سراح هذا الجندي مقابل الافراج عن أسراهم، فانهم لا يخرقون قانونا دوليا، ولا يطلبون استثناء أو تسجيل سابقة، فالحكومة الاسرائيلية تبادلت الأسرى مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة في مطلع الثمانينات، وأفرجت عن آلاف المعتقلين مقابل تسليم رفات جنودها الذين قتلوا في لبنان، كما فعلت الشيء نفسه مع حزب الله قبل عام ونصف العام، فلماذا هذا التجبر مع خاطفي الجندي واجتياح قطاع غزة؟

ثالثاً: شريعة الغاب، يطبقها سكان العالم في كل مكان، حيث البقاء فقط للأقوى، مثل الكائنات الحية في الغابات، البقاء للأسد، لأنه أقواهم وأعلاهم زئيراً، ويستطيع التهام من في طريقه دون أن يقف في وجهه أحد، ومن هنا نبع المثل القائل ان لم تكن ذئبا، أكلتك الذئاب. واذا أصرت اسرائيل على تنفيذ هذه الشريعة في قطاع غزة، فانها ستكون الخاسرة، لأن منطق القوة سيخلق أجيالا جديدة من الفلسطينيين، أشد كرها وعدائية لها، الأمر الذي يجعل التوصل الى سلام بمثابة سراب.

رابعاً: نشر رئيس هيئة الأركان العامة السابق للجيش الاسرائيلي، الجنرال المتقاعد موشيه بوغي يعلون، هذا الأسبوع مقالا في مجلة «تخيلت»، التابعة لما يسمى باليمين الصهيوني الجديد، جاء فيه أن اسرائيل تمكنت من تطوير وبناء قوة عسكرية متقدمة بمقاييس عالمية، وتمنح التكنولوجيا العسكرية المتوفرة حالياً للجيش الاسرائيلي تفوقاً حاسماً لهذا الجيش في مجالات دقة النيران وسرعة الحركة وجمع المعلومات وغيرها. ويتيح تطور القدرة الاستخباراتية للجيش الاسرائيلي رصد وتحديد أهداف ونقل معلومات في زمن حقيقي الى مستوى متخذي القرارات، واصابة الهدف اصابة دقيقة ومباشرة قدر الامكان. هذه القدرات تُترجم الى قوة عسكرية ملموسة وليس فقط في مجال محاربة الارهاب، ولكن الجنرال تناسى أن القوة العسكرية قد تهزم الجيوش، ولكنها غير قادرة على هزيمة ارادة الشعوب المكافحة من أجل الحرية والاستقلال. فاسرائيل لم تنس شيئاً ولم تعمل شيئاً، فهي تعود وتنقض كل ما قامت به سابقاً، ولم تستنتج بعد أنها غير قادرة على كسر ارادة النضال الفلسطيني ضد الاحتلال، ما دام الاحتلال موجوداً.

خامساً: نعتقد أن الهدف المعلن من وراء اجتياح غزة هو محاولة اطلاق سراح الجندي المأسور، ولكن الهدف غير المعلن هو ترميم ما يسمى بقوة الردع الاسرائيلية واثبات قوة وجبروت الجهاز العسكري، الذي تلقى ضربة مؤلمة، حتى باعتراف اسرائيلي.

سادساً: الحكومة الاسرائيلية من حيث تدري أهدرت فرصة كبيرة لاصلاح ذات البين مع الحكومة الفلسطينية التي يرأسها اسماعيل هنية من حركة حماس، وكان باستطاعتها استغلال العملية للشروع في مفاوضات مع حماس، خصوصا وأن هناك اشارات واضحة من قبل الحركة في هذا الاتجاه، وأكبر دليل على ذلك، هو موافقتها على وثيقة الأسرى، التي تعترف باسرائيل. ونتمنى على حكومة اولمرت العودة الى رشدها، لأن ذلك يصب في مصلحة الشعبين.

سابعاً: اننا اذ نحترم اسرائيل على موقفها بأنها لا تترك جنودها ينزفون في أرض المعركة، نقول للحكام العرب بأن يتعلموا منها ويباشروا بالتعامل باحترام مع حقوق الانسان العربي والتنازل عن ادمان قمع الشعوب.

ثامناً: الوساطة المصرية والأردنية وحتى السورية، حسب الزعم الاسرائيلي، لحل أزمة الجندي غير مفهومة وليست مبررة، وعلى الحكومة الفلسطينية أخذ زمام الأمور والتعامل مع القضية فلسطينيا فقط، فالشعب الفلسطيني ليس بحاجة الى وسطاء من العرب والعجم، لأنه عندما يتعرض لممارسات الاحتلال فان هذه الأنظمة العربية تلتزم صمت أهل الكهف، وواشنطن تقول بصلافتها وعنجهيتها المعهودة بأنه من حق اسرائيل الدفاع عن نفسها، والاتحاد الأوروبي حول النفاق الى استراتيجية.

تاسعاً: نعتقد انه آن الأوان لكي تضع حركة حماس برنامجا سياسيا براغماتيا والعمل بموجبه، لأنها لا تستطيع الاستمرار في هذا النهج المزدوج، فمن غير المعقول أن تقاوم من ناحية، وتمارس الاعيب السياسة من الجهة الأخرى.

عاشراً: تصريحات قادة حماس بأن الجناح العسكري في الحركة يتخذ القرارات بشكل انفرادي وبمعزل عن المستوى السياسي، غير مقبول بالنسبة الينا. على الحكومة الفلسطينية أن توجه بواسطة هذه القضية رسالة واحدة وموحدة الى العالم بأنها تملك القوة على ادارة الأزمة، والتستر من وراء الجناح العسكري يضعف موقف الحكومة اقليميا ودوليا ويزيد من عزلتها وعزلة الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة.

حادي عشر: من منطلق مسؤوليتنا الانسانية والوطنية نوجه نداءً الى الفصائل التي تحتفظ بالجندي الأسير: في شهر شباط (فبراير) الماضي لقن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة دول العالم درساً في الديمقراطية من خلال الانتخابات للمجلس التشريعي، وها هو يملك الآن ورقة رابحة لكي يعلم العالم برمته درسا في مفاهيم ومبادئ الانسانية، وبالتالي يجب معاملة الأسير كما تنص عليه ليس فقط المواثيق الدولية بل انسانيتنا، لأنهم مهما فعلوا بهذا الشعب العظيم، فلن يتمكنوا من قتل الانسان الذي فيه.

* رئيس تحرير صحيفة «كل العرب» الصادرة في الناصرة

ظاهرة الحكام المؤبّدين في العالم العربي

يحيى ابو زكرياّ*

■ الفرق بين الحاكم العربي والبهلوان المهرّج انّ الثاني يحاول وعبر حركات ساذجة ومخالفة للطبيعة البشرية ان يضحك افرادا او مجموعة من الناس على الاكثر مقابل بعض الدنانير التي تسدّ رمقه، فيما الحاكم العربي يضحك ـ بفتح الياء ـ وعبر وسائل سياسية على امة بكاملها، ويستغفلها ويستغبيها ثمّ يصادر قوتها وثرواتها الظاهرة والباطنة..

ورغم اننا نعيش في عصر انكشاف الحقائق واضمحلال الاسرار الاّ ان الحاكم العربي يأبى الرضوخ لهذه المعادلة ويصرّ على الاستمرار في دور الضاحك على الامة وعقلها الفردي والجماعي..

فكثيرا ما يردّد حكامنا مصطلح الديموقراطية ويبشرون بها ويبدون حرصهم على تكريسها في الواقع السياسي الاّ انهم لا يرون اي تناقض او تضاد بين بقائهم على كراسي العروش لمدد تزيد على الثلاثين سنة، فالديموقراطية عندهم لا تعني مطلقا مبدأ التداول على السلطة والتناوب على كرسي الحكم وايصال الاصلح والاعلم والاكثر استقامة وخلقا الى دائرة القرار الاولى، واذا كان الدستور لا يتيح لهم الترشّح لمرة ثالثة ورابعة قاموا بنسخ الدستور وتغيير بنوده وسخروا لهذه الوظيفة عبيدهم من السياسيين والاعلاميين للحديث عن ضرورات المرحلة واولويات العهد واستراتيجيات الراهن ووجوب تغيير الدستور، وحتى اذا تعهدّ هؤلاء الحكام بعدم الترشح لمنصب الرئاسة الاولى لانهم تربعوا على كرسي الحكم لمدة ثلاثين سنة الاّ انهم سرعان ما يعودون عن تعهدهم الذي كان في الاساس مناورة وتكتيكا لتهييج الدهماء وضحكوا على ذقون الناس وعادوا الى الحكم بشرعية وهمية مزيفة من صنعهم.

فقد وضع البهلوانيون الجدد الذين يضحكون على شعوبهم دساتير على مقاسهم، وبرلمانات على مقاسهم واجهزة امنية واستخباراتية ودفاعية وهجومية على مقاسهم.

وهذا الحاكم العربي الانقلابي يضع دستورا ويدعو من ضحك عليهم الى الموافقة عليه ليقول بعد ذلك للناس بانّ انقلابي العسكري صار شرعيا بموجب الموافقة الشعبية على الدستور المغلّف بزي العسكر ورائحة العسكريتاريا، وهذا ينحر الدستور الذي لا يتيح له الترشح لولاية ثالثة رغم انه هو الذي وضعه وتعهد امام الامة التي يضحك عليها انه سيخلق تقليدا سياسيا في البلاد يتم بموجبه تغيير الرئيس كل فترة رئاسية، وحتى اذا دنت ولايته من الانتهاء دعا شياطينه الى ايجاد الظروف الملائمة لتغيير الدستور وايجاد دستور بديل يخوله ان يصير ملكا اذا شاء او رباّ من دون الله ما دام حكامنا لا يعترفون الاّ بالربّ الامريكي..

وملك آخر يشتري الذمم والنفوس بآبار النفط ليمكن للحكم المنوي واستمرار سلالته في الحكم، وحاكم آخر يقسم باغلظ الايمان ان لا يترشح لانه شبع من الحكم ومن الضحك على الناس والجماهير فيصدقه من لا يفقهون مكر كبرائنا وقادتنا وحتى اذا تنفس الصبح لعن امس وقال سأظل في الحكم من اجل مصلحة الامة التي اذقتها الويلات، فهي في امسّ الحاجة الى مزيد من الويلات والانكسارات والانتكاسات والتراجعات والتخلّف..

وحاكم آخر يتعرى من كل منطلقاته ويكشف عن عورته للامبريالية حتى تسمح له ان يقضي نحبه على كرسي عرشه، فالمهم ان يموت وهو حاكم ويسلم الراية لابنه حتى يواصل مسلسل الضحك على الامة هذا المسلسل الذي لم ينته بعد...

لقد اتقن حكامنا بالفعل دور البهلواني الذي نجح في الضحك على الملايين والعجيب ان بعض الذين يضحك عليهم ورغم انهم مدركون لطبيعة الدور البهلواني للبهلوانيين الجدد الاّ انهم يصفقون ويغنّون ويرقصون ويطبلون وينظمون شعرا لهذا البهلواني الذي وبمجرد ان يرى منظرهم هذا يستبشر لنجاح دوره المتألق كضاحك على ذقونهم ومستقبلهم واجيالهم..

ان العالم العربي يملك كل مقومات النهضة وهو قادر على صناعة النهضة والحضارة ومشكلته الوحيدة في البهلوانيين الجدد الذين لم ولن يكونوا على مستوى تطلعات الامة، وكانوا في الاتجاه المعاكس لشعوبهم، وقد اتقن فعلا هؤلاء البهلوانيون ادوارهم بدقة وكل بهلواني اتخذ له لباسا معينا فهذا ارتدى زي العسكري الذي لم يدخل اي معركة وعلق على صدره النياشين الوهمية، وهذا ارتدى العقال البدوي حيث اوضحت علامة الصفر السوداء على راسه هويته المصفرّة، وهذا ارتدى بدلة راقية استوردها من باريس ولم يجد العطر الفرنسي الذي يتعطّر به في ازالة عفونته السياسية، وهذا ارتدى عقالا وثوبا عسكريا ليتألق في دوره البهلواني، وذاك ارتدى زيا عربيا وبينه وبين العروبة بون شاسع وهذا ارتدى طربوش جحا ليذكرنا بكتاب «الفاشوش في حكم قراقوش» وهكذا دواليك...

انّ البهلوانيين الجدد الذين لم يبرعوا الاّ في دور الضحك على الامة قادوا الدولة والامة على السواء الى اكبر الانهيارات ويريدوننا ان نضحك..

فاضحك ايها العربي مع البهلوانيين الجدد لتطلع الصورة احلى.......

* كاتب من الجزائر يقيم في السويد

ماذا لو اختطفت اسرائيل بشار الاسد؟

محمد عبدالواحد*

■ مساء الاربعاء الماضي حلقت الطائرات الاسرائيلية فوق القصر الجمهوري السوري، في اللاذقية، وفي وقت تمضية الرئيس السوري بشار الاسد بعض الوقت في المصيف بعيدا عن حرارة عملية «أمطار الصيف» التي تقوم بها اسرائيل، لاعادة الجندي الاسير، مع العلم ان بشار قام باتصالات للتوسط، بين الخاطفين واسرائيل، لكن أولمرت يريد خالد مشعل الذي يقيم ليس بعيدا عن القصر الرئاسي، وتمت التهيئة للأمر من خلال تصريحات متتالية، عن تورط مشعل بصورة شخصية في عملية الاسر، وزادت المصادر الرسمية الاسرائيلية، بأن مشعل تجاوز قيادته في حماس، واراد أولمرت بهذا الافتتاح الدموي طمأنة شارون في غيبوبته، وشارك بوش في برقية الطمأنة من خلال تجاهله للأمر، المثير للسخرية أنني تصورت الطيران الاسرائيلي قد اختطف الاسد، الى خارج الاراضي السورية وأخفاه على غرار العملية الفدائية الفلسطينية، وتصورت ساعتها من الذي سيسعى لافتداء الأسد أو القيام بعملية لتحريره؟ فالجندي الاسرائيلي وجد العالم يبحث عنه، أما الأسد .. ترى من الذي يفتديه؟ هل يمكن للشعب السوري ان يعلن الحرب على اسرائيل، وكيف يقوم بذلك والقائد الأعلى للقوات المسلحة .. أسير؟ فضلا عن أن الشعب السوري لم يجب على سؤالي، هل يريد ان يعود الأسد ام أن اكرام الرئيس أسره، وبالطبع يمكنك أن ترفع اسم الأسد وتضع اسم كل حاكم عربي، وتسأل السؤال نفسه.

الغريب ان الحكام العرب اختفوا في قصورهم ـ غالبا ـ تحت الأرض، ولم يساندوا كرامة زميلهم المهدرة في اللاذقية، ولا يمكن النظر لتحليق الطيران الحربي الاسرائيلي فوق قصر الاسد، من دون قراءة خط سير الرحلة، التي بدأت بزيارة الأسد الى القاهرة ولقائه بالرئيس مبارك، كنوع من الدعم المصري لسورية، لكن اسرائيل تعرف أن الدعم السياسي المصري، مثل الدعم الذي تقدمه الحكومة المصرية الى المواطنين، دعم كاذب، بطريقة الحمل الكاذب، فالحكومة تتصور أنها تقدم دعما، وتشعر بأعراض الدعم الكاذب، وتمضي السنون، ولا تلد الحكومة دعما، لكنها تتوهم أننا ما زلنا، نرى أن اللي مالوش اهل الحكومة أهله، وهي تصرخ : «هو أنا خلفتكوا ونسيتكوا»، نحن نعرف أن كل الفياغرا السياسية والطبية لن تساعد الحكومة، ولا كل الحكام العرب، على القيام بالواجب تجاه أي قضية، داخل غرف النوم أو خارجها، واسرائيل تتعامل معهم على هذه الخلفية الصحية/السياسية، فتحلق بطائراتها الحربية فوق غرفة نوم الرئيس السوري، وتقتل جنودا مصريين على حدود سيناء، التي يوجد بها قصر ـ مكون من عشرات القصور ـ للرئيس مبارك في شرم الشيخ، اي ان اسرائيل قالت للأسد نحن هنا بصوت عال، بعد أن قالتها لمبارك بصوت واطي، عبر قتلها جنودنا المصريين في سيناء الشهر الماضي، وهي لم تخفض صوتها تأدبا، وانما لأن مصر اقرب لها من سورية، قد تراه قربا جغرافيا، أو سياسيا، او عاطفيا ..، فأنت وما ترى؟

ان ما جرى في فلسطين المحتلة خلال الأيام الماضية يؤكد أن القوة ما زالت الاعلى سعرا وتأثيرا ونجاحا، في مواجهة اسرائيل، فهي تصرخ منذ جاءت حماس للحكم، لكنها قتلت ـ ولم يكفها الصراخ ـ عندما نجح ابطال فلسطينيون، يقولون ويفعلون، في قتل ثلاثة من القتلة في جيشها/شعبها، اسرائيل تكتفي بالصراخ في مواجهة من يقولون ولا يفعلون، وتتجاهل من يقولون وهم متأكدون انهم لا يفعلون، لكنها مهما راوغت، أو استخدمت الذين يقولون ولا يفعلون، لاثناء أهل الفعل، تتفاوض سرا أو علنا، مع من يملك القوة، وتقبل شروطه، في مقابل شروطها، حزب الله أخرجها من جنوب لبنان، ولم تجرؤ على العودة اليه، لكنها ترسل طائراتها الحربية الى قصر بعبدا، كلما فكر ساكنه الرئيس اللبناني في فتح احدى نوافذ قصره، وهي تحوم حول غزة وان دخلتها ـ أكتب المقال وسط انباء عن وجود حشد عسكري اسرائيلي حول غزة ـ فهي لن تكرر مذلة احتلالها من جديد، فلم تعد في حاجة لذلك، ولعلها اكتفت بحبس رئيس السلطة محمود عباس ليشرف على عمليات البحث عن الجندي الاسرائيلي، لكنها لن تكتفي من القتل، والرعب طالما تواجه سلاحا ليست له وزارة، وجيشا لا يديره قائد أعلى، وأصحاب أرض تركوا ذل القصور الرئاسية، المحصنة ضد أوطانها، لكنها تبقى أبدا أسيرة الطيران الحربي الاسرائيلي، يهتك هيبتها ليلا او نهارا، ويتوهم حكام القصور أن شعوبهم لا ترى مرمطتهم على الهواء مباشرة، وكيف لحاكم يعرف أنه لا يستطيع حماية بيته أن ينام ؟ المؤكد أن هؤلاء الحكام يحسدون الجندي الاسرائيلي، لأنه وجد من أثار العالم ليدفع ثمنه، لكنهم يعرفون أن أحدا لن يفتديهم، لا بالروح أو بالدم، تليفزيوناتهم وصحفهم هي التي تضحك عليهم ـ وليس علينا ـ عندما تسمعهم نشيدهم الوطني «بالروح بالدم نفديك يا..»، لا أحد يختطف هؤلاء الحكام سوى ـ حليفهم ـ الموت، انهم أعراض حكام، يعانون أعراض حكم كاذب، وحمل كاذب، لأمانة سقطت مجهضة، في قصورهم التي تظهرها أشعة الطيران الاسرائيلي .. خالية من أي «حمل»، لأي أمانة، .. وأمانة السياسات عليكم ورحمة الله وبركاته.

* كاتب من مصر
mwahed39@yahoo.com